- **(محاضرة 7) الفروق بين اكتساب لغة المنشأ وتعلم اللغة الثانية أو الأجنبية:**

– **ما هو السن الأمثل للبدء في تعلّم لغة ثانية ؟**

يحذّر عددٌ من خبراء اللغويات من مخاطر تحدث الآباء مع أبنائهم بلغة مخالفة للغتهم الأم في السنوات الأولى من عمر الطفل، فقد خَلصت دراسات إلى أن تعليم اللغة الأجنبية في المراحل الدراسية الأولى قد يسبب في إهمال اللغة الأصلية، أو يؤدي إلى تداخل لغوي في ذهن الطفل.

ولقد أجرت دولٌ عربية، منها الكويت، دراسات على الأطفال الذين يبدأون بتعلّم لغة ثانية بالإضافة إلى لغتهم العربية في المدارس منذ الصغر، أن بعض هؤلاء الأطفال تدنّت مهاراتهم اللغوية العربية بنسبة 35 % مقارنة مع أقرانهم ممن تعلموا اللغة العربية لوحدها.

يؤكد فكرة البدء بتعلّم اللغة الأجنبية في سن متأخرة، عالم اللغويات الأمريكي **ليونارد بلومفيلد** بحيث يرى أنّ أحسن سنّ للبدء في تعلّم لغة أجنبية هي بين سن العاشرة والثانية عشرة، فإذا بدأ تعلّم اللغة قبل ذلك فإن العملية التعليمية غالبًا ما تكون بطيئة وغير مجدية، أما إذا بدأت عند المرحلة المذكورة، فبإمكان الطفل تعلّم لغات أجنبية أخرى في مراحل لاحقة.[1]

– **المضاعفات السلبية في تعلّم لغة ثانية في السنّ غير المناسب:**

أثبتت بعض البحوث التربوية التجريبية بأن ازدواجية اللغة تعتبر عاملاً أساسياً من عوامل حدوث اللجلجة في النطق والكلام، حيث أن نسبة كبيرة من المصابين بالتأتأة كانوا من مزدوجي اللغة أثناء دراستهم وتحصيلهم، حيث أن الطفل بصورة خاصة في حالة ازدواجية اللغة ومنذ سن مبكر لا يفكر بأية لغة ! ولا يركز على واحدة من اللغات التي يتعلّمها مما يؤدي به إلى مشاعر النقص والسلبية تجاه ذاته ومدرسته !؟

وتظهر هذه الحالات من اضطرابات الكلام في مرحلة الطفولة المبكرة ولا سيما في العمر من سنتين إلى خمس سنوات، وخاصة لدى الأطفال الذين يعيشون في أوساط أسرية واجتماعية تعاني من ازدواجية اللغة، إما نتيجة الاضطراب في التركيبة السكانية أو نتيجة وجود الخدم والمربيات الأجنبيات اللواتي يتكلمن لغات مختلفة عن لغة الطفل الأساسية وخاصة أنهن يقضين مع الطفل فترات زمنية طويلة، وفي هذه المرحلة العمرية بالذات فإن المسألة تغدو أكثر تعقيداً لا سيما وأن الطفل لم يتملك بعد من ناصية اللغة الأساسية[2].

---

[1] انظر الرابط التالي:http://www.enabbaladi.net، متى يجب أن يبدأ الطفل بتعلم لغة أجنبية إضافة إلى لغته الأم ؟ تاريخ الإقتباس:2012/10/27.

[2] انظر الرابط التالي:http://www.almanalmagazine.com، ازدواجية اللغة وآثارها على اضطرابات النطق والكلام: الياس طباع، تاريخ الاقتباس:2016/09/09.

نتيجة لذلك يوصي علماء النفس اللغوي بعدم تعليم الطفل في هذه المرحلة العمرية أكثر من لغة واحدة، قبل أن يكون قد أتقن لغته الأم وتمكّن من التكلم بها بطلاقة وثبتت في ذهنه بشكل جيّد، حيث أن تعلمه أكثر من لغة في هذه المرحلة سوف يحدث لديه مزيداً من الخلط والارتباك والتشويش، مما يوصله إلى اضطرابات نفسية ونطقية خطيرة، حيث أن الصراعات النفسية التي يكابدها الطفل في هذه المرحلة تهدّد توازنه العقلي، وينعكس هذا الاختلال في آلية الكلام بشكل أو بآخر، وقد ينعكس على شكل أمراض سلوكية مختلفة.[1]

عندما يتعلّم الطفل لغة ثانية فإنه يتعرض لتداخل مع اللغة الأولى، ويظهر هذا التداخل سواء أثناء أدائه اللغوي للغة الثانية أو الأولى، ويسير التداخل من اللغة الأكثر هيمنة إلى اللغة الأقل هيمنة، والتداخل هو انتقال سلبي لأثر التدريب وهو ظاهرة غير مرغوبة في الأداء اللغوي، وقد يحدث التداخل من لهجة إلى لهجة في اللغة ذاتها، كأن تدخل العامية في الفصحى أو الفصحى في العامية، ويدعى هذا تداخلاً داخلياً أما إذا كان التداخل بين لغة وأخرى فيدعى تداخلاً خارجياً، ويشمل التداخل الأشكال التالية:[2]

- ✓ **التداخل الصوتي** :ينطق الطفل صوتاً من اللغة الثانية مثل صوت يقاربه من اللغة الأولى، كالطفل العربي ينطق V الإنكليزية كنطقه لـ ف العربية أو ينطق P مثل ب.
- ✓ **التداخل الصرفي** :قد يجمع الطفل الاسم أو يثنيه في اللغة الثانية مثلما اعتاد في اللغة الأولى.
- ✓ **التداخل المفرداتي** :أي أن يدخل الطفل كلمات من اللغة الثانية إلى الأولى أو العكس وأغلب ذلك يقع في الأسماء والصفات والأفعال.
- ✓ **التداخل النحوي** :وهنا يحصل التداخل بين اللغتين من حيث ترتيب الكلمات أو إضافتها أو حذفها.
- ✓ **التداخل الدلالي** :قد ينتقل معنى الكلمة من اللغة الأولى للثانية أو من الثانية للأولى رغم اختلاف الكلمات في المعنى.
- ✓ **التداخل الحركي**: وهنا ينقل المتكلم الحركات المصاحبة للأداء اللغوي في اللغة الأولى إلى الثانية أو العكس وهي تشمل حركات الأصابع واليدين والرأس والعينين والجسم.

---

[1] انظر الرابط التالي:http://www.almanalmagazine.com، ازدواجية اللغة وآثارها على اضطرابات النطق والكلام: الياس طباع، تاريخ الاقتباس:2016/09/09.

[2] انظر الرابط نفسه.

إذا تعرض الطفل ثنائي اللغة إلى حادث أو إصابة مخية أو حالة نفسية معينة فقد يترتب عليها حبسة كلامية للغتين كلتيهما، وبعد مرور هذه الأزمة فإنه قد يستعيد اللغتين بشكل متواز وقد يستعيد واحدة أفضل من الثانية أو قد يستعيد واحدة ولا يستعيد الأخرى، وهناك حالات من الاستعادة الانتقائية أيضاً.

وقد فسّر علماء النفس اللغوي هذا على أساس:

- أسبقية التعلّم للغة.
- وعلى أساس شيوع اللغة وهيمنتها.
- وعلى أساس الحالة النفسية للفرد إذ أن استعادتها مرتبطة بحالته النفسية وموقفه من هذه اللغة قبل الحادث أو بعده، وهذه الحالة تؤثر في سرعة الاستعادة للغة.
- إضافة إلى فرضية التعرض اللغوي ومدى المعرفة اللغوية حيث أن اللغة الأكثر معرفة وشيوعاً هي التي تكون استعادتها أولاً.

وهكذا نجد أن ازدواجية اللغة تؤثر في اللغات التي يتعلمها الطفل وخاصة في مرحلة الطفولة المبكرة، فحين يتكلّم لغة تختلف عن لغة أصدقائه أو مدرسته أو يضطر إلى تعلم لغة أجنبية في الوقت الذي لا زال فيه يتعلم لغته الأم، فإن ذلك يربك مهاراته اللغوية ويؤخرها في اللغتين كلتيهما.

لقد بيّنت الدراسات أن تعلم لغتين في آن واحد يحدث تعطيلاً في تقدم الأطفال اللغوي، ويبدو أن تعلّم كلمتين لشيء واحد أو لفكرة واحدة ونظامين قواعديين يؤدي إلى التداخل في تفكير الطفل وإلى تعطل كلامه وظهور الاضطرابات الكلامية عنده.

وكما أوضحت الدراسات أن الأطفال الذين تتكلّم أسرهم أكثر من لغة تكون مفرداتهم أقل من المعدل بالنسبة لأعمارهم وفي اللغتين، ولهذا نجد أن من الضروري أن تتفهم المدارس هذه الحقائق التربوية وأن تستخدم مع الأطفال الصغار اللغة الأم فقط حفاظاً على الشخصية الفردية والهوية القومية.[1]

[1] انظر الرابط التالي:http://www.almanalmagazine.com، ازدواجية اللغة وآثارها على اضطرابات النطق والكلام: الياس طباع، تاريخ الاقتباس:2016/09/09.

- **الفروق النفسية والمنهجية بين اكتساب اللغة الأولى واكتساب اللغة الثانية:**[1]

1- **الدافع**: إن دافعية الطفل عند تعلم اللغة الأولى تكون في أوجها فهو في حاجة ماسة للغة كي يتفاهم بها مع أسرته وأصدقائه ويعبر بها عن حاجاته وأفكاره، وفي تعلم اللغة الثاني لا تتوفر مثل هذه الدافعية.

2- **البيئة اللغوية**: مع تعلم اللغة الأولى تكون البيئة اللغوية طبيعية وواقعية، ولكن مع تعلّم اللغة الثانية فإنها على الأرجح تكون ضمن بيئة اصطناعية ومشوهة.

3- **المران**: مع تعلم الطفل اللغة الأولى يتدرب عليها ساعات طويلة، ولكن مع تعلم اللغة الثانية لا يتاح له سوى جزء من الوقت في اليوم.

4- **التعزيز**: مع اللغة الأولى يتاح للطفل أن يتعزز في أدائه اللغوي بشكل كبير وفوري، ولكن مع اللغة الثانية تقل كمية التعزيز لأن المعلم مشغول بعشرات الأطفال في وقت واحد.

5- **الاسترخاء**: مع اللغة الأولى يكون الطفل في أفضل حالة نفسية إذ هو مع أمه يشعر بحنانها وعطفها، ولكن مع اللغة الثانية لا تتوفر له الدرجة ذاتها من الاسترخاء فهناك ضغط المعلم والأصدقاء والمنافسة.

6- **العمر**: يتعلم الطفل اللغة الأولى وهو في سنوات الأولى، وأما اللغة الثانية إذا تعلمها في سنوات عمره المتأخرة فإن قابليته للتعلم تكون ضعيفة.

7- **المشاعر**: عندما يتعلم الطفل اللغة الأولى لا تكون لديه مشاعر عدائية نحوها فهي لغة أمه وأبيه وأحبائه، أما تعلم اللغة الثانية فقد يكون مصحوباً بمشاعر عدائية لها وللقوم الذين يتكلّمون بها.

وهكذا نجد أن الطفل أثناء اكتسابه اللغة الأولى أفضل حالاً من الناحية النفسية والفكرية والواقعية بسبب التعزيز والمران وغيرها من العوامل.

---

[1] انظر الرابط التالي:http://www.almanalmagazine.com، ازدواجية اللغة وآثارها على اضطرابات النطق والكلام: الياس طباع، تاريخ الاقتباس:2016/09/09.